منهجية جمع الشهادات الحية ودورها في كتابة تاريخ الثورة التحريرية

(1954-1962)

د/سعاد يمينة شبوط

أستاذة محاضرة.قسم التاريخ.

جامعة أبي بكر بلقايد.

***مقدمة:**

إن حجم الكتابات التاريخية الجزائرية حول الثورة التحريرية بصورة عامة ليزال ضئيلا،إذا ما قُورنت بالسيل العرم من الكتابات الفرنسية الاستعمارية المغرضة والمتحاملة، و نجد العزاء في ذلك بالنظر إلى فتوّة وحداثة التجربة الجزائرية في الكتابات التاريخية،حول الثورة التحريرية بشكل دقيق.

وقد ظل الجدل يلازم حتى الآن جُلّ القضايا التاريخية الوطنية ويكمن ذلك حسب رأي في عاملين أساسيين يتمثل الأول في:- تكالب المدرسة التاريخية الاستعمارية القائمة على المناهج الاستشراقية العدائية،هذه المدرسة التي ما انفكت تواصل الفعل الاستعماري من خلال الدراسات التاريخية المزيّفة والمغرضة بعدما سكتت فوهات البنادق والمدافع،أما لعامل الثاني فيتلخص بصورة أساسية في:- ضعف الذاكرة الجماعية وهشاشتها وقابليتها للاختراق بسهولة.

ورغم الركام الكبير للكتابات التاريخية التي تناولت فترة الثورة التحريرية،وخاصة الكتابات الفرنسية منها،لا يزال تاريخ هذه المرحلة حقلا خصبا للبحث التاريخي الأكاديمي الموضوعي والمنهجي.خصوصا أن هناك عديد من المواضيع لا تزال بكرا ولم تخضع إلى الدراسة المعمقة من جهة ومثيرة للجدل والخلاف من جهة أخرى،الأمر الذي يفتح المزيد من الأفاق الجديدة أمام أجيال من الباحثين الجزائريين

إن الغاية المنشودة للجيل الجديد من الباحثين في تاريخ الثورة التحريرية هي التحاشي والابتعاد عن السطحية والتوظيف السياسي والحذر من الانسياق وراء الطروحات المغرضة والمتحاملة في طيات إصدارات مدرسة التاريخ الاستعماري ومن ورائها الكثير من الكتابات الأكاديمية المتأخرة التي سارت في تيارها وتحاملت معها وإن تخفّت في معظمها خلف ستار مراكز الدراسات و البحث الفرنسية البارزة،بالإضافة إلى السعي نحو إنشاء مدرسة جزائرية تاريخية تكون الموضوعية والحقيقية هي شعارها ومسعاها في آن واحد.

ومما لا شك فيه أن خوض غمار البحث في تاريخ الثورة التحريرية والإحاطة بمختلف مراحلها وقضاياها لا يزال إلى يومنا هذا مسألة صعبة للغاية،ويمكن أن تكون مجازفة في بعض الأحيان بالنظر إلى حساسية بعض المواضيع بالإضافة إلى أنها تتطلب جهودا عسيرة تثقل كاهل الباحثين و المؤرخين في غياب العمل الجماعي المنسق.

ويمكن تفسير أسباب هذه الصعوبات بالسكوت المطبق من طرف جيل الثورة وابتعاد الباحثين عن الخوض في غمار هذا النوع من المواضيع التي لا تزال حساسة من جهة وإخفاق عملية إعادة كتابة التاريخ الوطني بأقلام جزائرية لحد الآن في إحداث التوازن مع الرصيد الهائل للبيبلوغرافيا الفرنسية حول ما سمته "بحرب الجزائر" والتي تكاد تحتكر عملية تقديم التحاليل و الأجوبة عنها بالإضافة إلى توظيف النظرة الاستعمارية تجاه الثورة الجزائرية.

وبما أن الثورة التحريرية لا تزال تفتقد إلى الشهادات الحية والتسجيلات من طرف المجاهدين بما يعكس عظمتها التي استلهمت منها شعوب أخرى في إفريقيا وآسيا وأمريكا التواقة للحرية مشروع التحرر والاستقلال من نير الاستعمار.يصبح الأمر ضرورياً من أجل توجيه دعوة رسمية لرواد مسيرة التحرير الوطني من المجاهدين الذين عايشوا هذه المرحلة المذكورة، قصد توثيقها وإثراء الرصيد المتوفر لدى الوزارة الوصية على هذه العملية،التي تتعلق بجمع الشهادات الحية للحفاظ على ذاكرة الأمة.

وفي هذا السياق سوف نحاول في هذه المداخلة التركيز حول المنهجية المتبعة في عملية جمع الشهادات الحية من صناع وقائع وأحداث الثورة التحريرية ودورها في كتابة التاريخ الوطني،ويمكن تحديد منهجية هذه المهمة فيما يلي:

1-التجهيزات: تحتاج عملية جمع الشهادات الحية من صناع تاريخ الثورة التحريرية إلى وسائل للتنقل مثل السيارات النفعية والتجهيزات الرقمية الحديثة والمتطورة مثل آلات التصوير والتسجيل بكل ملاحقها المرئية والصوتية ...وغيرها بالإضافة إلى العناصر المحورية في هذه العملية وهي الفريق التقني والعلمي الكفء والقادر على إدارة هذه العملية بكل مراحلها ومتطلباتها.

2-فريق العمل(الإطارات والعناصر التقنية): يجب على هذه العناصر المكلفة بمهمة جمع الشهادات الحية أن تكون واعية بأهمية هذه العملية ومؤمنة بتحقيق نتائجها هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب أن تكون متخصصة فالإطار يجب أن يكون باحثاً في التاريخ ومتخصصا في التاريخ الوطني خصوصا تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية حتى يتمكن انطلاقا من دراسته وخلفيته التاريخية حول الإطار الجغرافي والتاريخي الذي مارس فيه المجاهد نشاطه الثوري من تسهيل المقابلة مع المجاهد والإدلاء بشاهداته الحية التي يمكن الاستفادة منها في كتابة التاريخ الوطني. أما بالنسبة للعناصر التقنية يجب أن تكون متخصصة بدورها وعلى دراية باستخدام العتاد والتجهيزات المخصص لهذه المهمة وكيفية استغلالها حتى يمكن النتائج حسنة مفيدة لعملية بناء التاريخ الوطني وذلك من طريقة التسجيل وحسن الصوت والصـــورة) .

3-عناصر المقابلة (العناصر المحاورة): إن هذا العنصر هو أكثر تفصيلا لما سبقه إذ يجب على عناصر المقابلة المكلفة بمهمة جمع الشهادات الحية في جانبها التوثيقي أن تتوفر على الشروط الضرورية التالية:

- المستوى والتخصص:أن يكون عنصر المقابلة طالبا باحثا في التاريخ ومتخصصا في التاريخ الوطني خصوصا تاريخ الثورة التحريرية(**1954-1962**).
- أن يكون المحاور متعدد اللغات.(العربية.الفرنسية.الإنجليزية والاسبانية...)كما هو الشأن كذلك بالنسبة للهجات المحلية.

- خلفية عنصر المقابلة(الباحث) ودرايته بالإطار الجغرافي والتاريخي الذي مارس فيه المجاهد نشاطه الثوري وإلمامه بموضوع تاريخ الناحية أو المنطقة أو الولاية محور البحث والدارسة والتنقيب في تاريخها.
- امتلاك العنصر الباحث المهارات والقدرات والمعارف اللازمة لتمكينه من ملاحظة الإشارة إلى الحوادث التاريخية وتسجيلها.
- الحالة الصحية وسلامة حواس عنصر المقابلة.وقدراته العقلية التي تمكنه من الملاحظة العلمية الدقيقة والكاملة للتصريحات والشهادات الحية التاريخية وتسجيلها بصورة سليمة.
- الملاحظة والمقابلة المباشرة للباحث (عنصر المهمة) وليس نقلا عن شهادة آخرين أو اقتباسا من مصادر أخرى(ثقة وصدق الشهادة والشاهد).
- موضوعية عنصر المقابلة(المحاور):عدم تأثير اتجاهات عنصر المقابلة في موضوعية الشهادة الحية في سياق مهمته وتقريره للحوادث التاريخية المصرح بها.
- قدرة المحاور على فهم وتفسير الأحداث والقضايا فهما صحيحا كما يريد المجاهد تقديمها في عملية جمع الشهادات الحية.
- أن لا يكون متسرعاً في الحكم على الشهادات الحية لجهله بالأحداث التي لم تذكر من طرف المجاهد.
- أن لا يكون المحاور(الباحث) منبهراً ومبالغاً قيمة المصدر (صاحب الشهادة) بل يعطيه قيمته التاريخية التي يستحقها.
- الإلمام بالتاريخ الوطني وبأهم المحطات التاريخية للثورة التحرير الوطني .
- القدرة على إدارة المقابلات مع صناع الحدث (مجاهدين ومجاهدات).
- أن يكون عنصر المقابلة (الباحث) خفيف الظل ويتمتع بحسن الإلقاء والمحاورة.

4- الفئة المعنية بتقديم الشهادات الحية من المجاهدين:

تشمل كل المجاهدين الحائزين على وثائق تثبت نشاطهم الثوري سواء عسكريين بكل رتبهم ومهامهم أو سياسيين أو مدنيين أو مناضلين في صفوف الحركة الوطنية أو الحركة الطلابية أو الحركة الكشفية وحتى بإمكانهم تسجيل شهاداتهم،إلا أنه تعطى الأولوية في انتقاء العناصر من المجاهدين الذين سبق لهم أن شغلوا مسؤوليات سامية في صفوف جيش وجبهة التحرير

الوطني،ودون إهمال مناضلي الحركة الوطنية وباقي مجاهدي الثورة التحريرية في أي منطقة من مناطق الولايات التاريخية بما فيها فدرالية الجبهة في تونس والمغرب وفرنسا وبعض الدول الغربية الأخرى مثل ألمانيا وسويسرا وإسبانيا.

5- المحاور الرئيسة للمقابلة في عملية جمع الشهادات الحية :

تحدد الأسئلة بدقة وبعناية،تراع فيها خصوصية كل ضيف وفق صفته الثورية(عسكري – سياسي) حيث تستنبط من محاور تاريخية رئيسة منطلقها الأساسي الرصيد التاريخي لدى المحاور(عنصر المقابلة) ،تغطي كل الجوانب والمراحل التي عرفتها الحركة الوطنية وثورة التحريرية.

1- مرحلة الكفاح السياسي خصوصاً بعد مجازر الـ8ماي 1945.إلى اكتشاف المنظمة الخاصة1950)

2- الثورة التحريرية في مرحلة التحضير والانطلاقة(1950-1954).

3- اندلاع ثورة التحرير 1954 ومواقف وردود الفعل الفرنسية.

4- هجمات 20 أوت 1955.

5-إضراب الطلبة 19 ماي 1956

6- مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 وتطور الثورة التحريرية.على الصعيدين الداخلي والخارجي- وعلى المستويين العسكري والدبلوماسي).

7- إضراب الثمانية أيام (08جانفي-04فيفري1957.ووقائع معركة الجزائر الكبرى.

8- السياسة الاستعمارية في مواجهة الثورة التحريرية(1954-1960).

-حالة الطوارئ وحظر التجول.

-السجون والمعتقلات.

-التعذيب والإبادة.

-المناطق المحرمة.

- الحركات المناوئة للثورة.

-مأساة اللاجئين الجزائريين على الحدود الشرقية والغربية.

-عملية الزرق.

-عملية العصفور الأزرق.

-الدعاية الفرنسية.

-منظمة الجيش السري الإرهابية(OAS)

9- الخطوط المكهربة (خط موريس- ثم خط شال)

10- عمليات تسليح الثورة الجزائرية على الجبهتين البرية والبحرية والحدود الشرقية والغربية.

11- مظاهرات 11 ديسمبر 1960.

12- مظاهرات 17 أكتوبر 1961.

13- مفاوضات إيفيان و توقيف القتال19مارس1962.

14-الاستفتاء والاستقلال.

15-العمليات العسكرية الكبرى لجيش التحرير الوطني في الولايات الداخلية والجبهتين الغربية والشرقية.

16- الأعمال الفدائية في المدن الكبرى.

17- الأعمال الفدائية بفرنسا.

18- النظام الصحي إبان الثورة.

19-المرأة والثورة الجزائرية.

20- النظام القضائي إبان الثورة.

21- التعليم إبان الثورة.

22- الفرق الفنية والرياضية لجبهة التحرير الوطني.

23-الإعلام الثوري .

6- المقابلة:

تكون المقابلة غالبا فردية،وأحيانا جماعية،يحدد فيها المحاور(الباحث) قائمة الأسئلة التي يجب طرحها بشكل منهجي على ضيفه(المجاهد)أو ضيوفه(المجاهدين) ويراع فيها عامل التسلسل الزمني(كرونولوجيا الوقائع التاريخية)حسب الزمان والمكان، ويحاول المحاور الباحث التقيد بها حتى لا يقع في مطبّة العموميات والاستطراد الذي لا فائدة منه،لكن هذا لا يمنعه من طرح أسئلة أخرى غير مبرمجة ولم تكن في الحسبان،إذا رأى ضرورة لذلك.

وتقسم المقابلة إلى ثلاثة أنواع رئيسية:

أ- المقابلة المفتوحة: وفيها يعطي للمجاهد الحرية في أن يتكلم دون ضوابط لعامل الزمن والتقيد بالوقت أو الأسلوب، وهذه تعطي معلومات غير محددة بموضوع معين.

ب- المقابلة شبه مفتوحة: وفيها يملك المحاور (الباحث) الحرية في طرح السؤال بصيغ متعددة أخرى، والطلب من المجاهد مزيدا من الشرح والتوضيح حتى تتضح معالم وتفاصيل الشهادة المطلوبة من المجاهد وتكون النتائج أحسن (نتائج عملية جمع الشهادات الحية).

ج- المقابلة المغلقة: وهي التي لا تفسح المجال للشرح المطوّل، بل يطرح السؤال بشكل مباشر وتسجل الإجابة (الشهادة) التي يدلي بها الضيف (المجاهد).

7- طريقة إجراء المقابلة:

1- إعداد استمارة المقابلة إعدادا دقيقا. (وهي مرفقة كملحق في آخر البحث)

2- معرفة المحاور (الباحث) بموضوع المقابلة ومستوى وثقافة المجاهد وبيئته الاجتماعية .

3- تحديد الأفراد عناصر المقابلة من المجاهدين الذين ستتم مقابلتهم ومكان وزمان المقابلة

4- يقدم المحاور (الباحث) نفسه بطريقة لبقة ولائقة ومقبولة.

5- يراعي المحاور شروط وأصول المقابلة والمعاملة اللطيفة والحسنة التي من شأنها استدراج المجاهد للإدلاء بشهادته وهو مطمئن ومرتاح نفسياً.

6- يطرح المحاور السؤال ويعطي الفرصة والوقت للضيف للإدلاء بشهادته ويعبر عن نفسه ويفسح عن أسراره وأدواره ويوضح وجهة نظره ومواقفه من بعض الأحداث والوقائع في تاريخ الثورة التحريرية.

7- عدم إجهاد الضيف (المجاهد) بالأسئلة الكثيرة، وأن يكون وقت المقابلة معقولا حتى لا تكون المقابلة مملة ومتعبة.

8-الشروط الأساسية في عملية المقابلة الشخصية مع المجاهدين:

1- الترتيب المسبق للمقابلة،ويجب على المحاور(الباحث) الاتصال بضيوفه(المجاهدين) لتحديد وقت إجراء المقابلة ومدتها،وإعطائهم فكرة مختصرة عن الموضوع لتحضير أنفسهم جيدا .واستحضار أفكارهم وذكرياتهم.

2- تحديد مكان المقابلة.

3- اهتمام المحاور(الباحث) بمظهره الشخصي وملابسه.

4- ضرورة خلق جو من المودة والاطمئنان بين المحاور(الطالب الباحث) وضيوفه(المجاهدين)، والابتعاد عن الرسمية والبروتوكولات في المقابلة، ويفضل البدء بسؤال عام بعيداً عن موضوع المقابلة.

5- عدم إعطاء الضيف(المجاهد) الفرصة بإدارة المقابلة والسيطرة عليها.

6- استخدام لغة مفهومة وبسيطة ومناسبة حسب مستوى المجاهد.

7- احترام آراء وأفكار ومعلومات المجاهد.

8- قدرة وكفاءة المحاور في التحكم بزمام أمور إدارة عملية المقابلة.

9- عدم الاكتفاء بمصدر واحد في واقعة أو حدث تاريخي واحد ولو كان قاطع الدلالة والصدق بل يجب كلما أمكن دعمه أو دحضه بمصادر(شهادات) أخرى.

10- الوقائع المتفق عليها من طرف الشهود (المجاهدين) والأكثر كفاية وحجة تعتبر مقبولة.

11- ضرورة الاعتراف بنسبية الشهادة التاريخية فقد يمكن أن تكون دليلا قوياً وكافيا في نقطة معينة ولا تعتبر كذلك في نقطة أو نقاط أخرى.

9- انتقاء الأسئلة :

1- مراعاة قواعد وأصول وأسس طرح الأسئلة والتي منها:

أن يكون السؤال واضحا ومفهوما ويمكن أن يكون غير مباشر أحيانا وغير مباشر أحيانا أخرى.

2- التدرج في طرح الأسئلة بدءاً من الأسئلة العامة السهلة والغير حساسة إلى الأسئلة الدقيقة والحساسة المتعلقة بقضايا شائكة ومعقدة في مراحل حاسمة من تاريخ الثورة التحريرية.

3- إضفاء جو من الألفة والمودة والطمأنينة عند طرح الأسئلة.حيث لا تكون أشبه بعملية الاستنطاق.

4- عدم مقاطعة الضيف وعدم طرح أكثر من سؤال في آن واحد.

9- تشجيع عمليات جمع الشهادات:

تقدم المؤسسة الوصية والمشرفة على عملية جمع الشهادات لضيوفها(من المجاهدين) عقب كل مقابلة: شهادة تقدير وبعض الهدايا الرمزية نظير ما قدموه من معلومات تاريخية قيمة،قد تساهم مستقبلا في عملية كتابة تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية.

10- الإشهار بحملة جمع الشهادات الحية :

كل عمل له علاقة بفئة ما في المجتمع ،يحتاج إلى إشهار،حتى يلقي الإقبال المرجو،والشيء نفسه ينطبق على عملية جمع الشهادات الحية،التي تحتاج إلى إشهار مكثف في جميع وسائل الإعلام المكتوبة والسمعية والمرئية،حتى تصل إلى الفئة المعنية ونقصد هنا المجاهدون بكل انتماءاتهم وذويهم أيضا لحثهم على مد المؤسسات الرسمية المكلفة بمهمة جمع الشهادات بما يملكونه من معلومات ووثائق وأشياء تتعلق بثورة التحريرية.

11- استغلال الشهادات الحية:

بعد فرز وتبويب وفهرست ما بحوزة المؤسسة الوصية من شهادات حية، تقوم مصلحتها المعنية بعرض ما اتفق على وضعه،تحت تصرف جمهور الباحثين والدارسين للتاريخ الوطني لاستغلاله في بحوثهم ودراساتهم التاريخية في حوالي خمسة نسخ أو أكثر حسب الحاجة مع حفظ الأصل في مكان آمن.

كما توضع تحت تصرف الباحث فهارس للأعلام والموضوعات المتعلقة برصيد المؤسسة الوصية من الشهادات الحية الموجهة للاستغلال، لتحديد حاجته، ثم يقوم بتدوين طلبه في بطاقة خاصة وضعت لهذا الغرض، يسمح له بطلب عدد محدود من الشهادات الحية في كل مرة.

12-دور الشهادات في كتابة تاريخ الثورة التحريرية:

من خلال عملية التسجيل الكامل للشهادات الحية للمجاهدين الأحياء،يصبح لدينا بنك للمعلومات متعلق بتاريخ الثورة يتم وضعه في خدمة الباحثين والمؤرخين للاطلاع عليه وتمحيص هذه الشهادات والروايات التي يتم جمعها.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن هناك عدد معتبر من المذكرات التي تم كتابتها وطبعها تتضمن شهادات حية وروايات للمجاهدين في المناطق التي حاربوا فيها العدو الفرنسي، باستطاعة الباحثين والمؤرخين الاطلاع عليها على مستوى مراكز الدراسات التاريخية والمتاحف والملحقات الجهوية والمقرات الولائية للمنظمة الوطنية للمجاهدين،والهدف من كل هذا هو توفير معلومات صحيحة وأكيدة من مصادرها يمكن الاعتماد عليها في كتابة التاريخ الوطني.

وفي سياق هذه العملية يجب تقديم كل ما من شأنه أن ينقل الحقائق دون تشويه ويجب التأكيد بأن نقل التاريخ حق للأجيال وأن عملية تسجيل الشهادات من شأنها أن تساعد الباحثين الأكاديميين الجامعيين المتخصصين في تاريخ الثورة التحريرية في المساهمة من جهة أخرى في كتابة التاريخ الوطني ونقل الحقائق التاريخية دون تزوير،حتى لا يصبح هذا المجال خاضعا للأدلجة والتوظيف السياسي ومطية لبعض الوصوليين الانتهازيين الضعفاء المتطفلين على هذا التخصص للبروز والأبهة وتحقيق مآرب شخصية .كما يجب توخي الحذر من بعض الكتب والوثائق القادمة من وراء البحر التي يبرر محتواها تواجد الاستعمار الفرنسي وتقدم صورة عكسية للحقيقة.

ومن خلال كل ذلك نسعى جاهدين إلى تبليغ رسالة أول نوفمبر إلى الأجيال لتكون متحصنة ومتشبعة بروح الوطنية،فعلى المجاهدين الذين صنعوا البطولات بالأمس أن يبلغوا ذلك إلى الأجيال القادمة بكل صدق وأمانة.

*المراجع المعتمدة:

- قند يلجي عامر. البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية .دار اليازوري العلمية.الأردن.2008.

-مصلحة الجمع والاسترجاع .قسم الجمع والاسترجاع والحفظ والترميم.المتحف الوطني للمجاهد.المدنية رياض الفتح. الجزائر العاصمة.

-تجربة ميدانية شخصية في عملية جمع الشهادات الحية مع النقيب محمد الصايكي في إنجاز مذكراته الشخصية (ثائر من قلب الجزائر الذي صدر في دار الأمة سنة 2002.

- تجربة ميدانية شخصية في عملية جمع الشهادات الحية مع إطارات ومناضلي جمعية 11ديسمبر 1960 بالعاصمة خلال دراستي الجامعية والإعداد لأطروحة الماجيستر1999-2001.

- تجربة ميدانية شخصية في عملية جمع الشهادات الحية مع إطارات ومناضلي الولاية الرابعة التاريخية ومؤسسة الولاية الرابعة التاريخية(1998-2001).

- تجربة ميدانية شخصية في عملية جمع الشهادات الحية مع إطارات ومناضلي منطقة سور الغزلان في إطار مرحلة إنجاز أطروحتي الماجستير والدكتوراه (1999-2006).